

عاصمة الديار المصرية وماضيها

قلنا يحظر بالبال انه في زمن الدولة الداهية منذ الف سنة كان النيل يصل الى جامع المقص المعروف الآن بجامع اولاد عنان وكانت في محل شارع كلوت بك وشارع نوبار باشا قرية صغيرة عرفت قبل الفتح باسم ام دنين وبعد الفتح باسم المنس وقد حارت الآن من احياء العاصمة . وكانت الاماكن التي فيها الآن مصر العتيقة وقصر البيبي والمنيرة والناصرية وباب النور والدواوين والاسماعيلية والتوفيقية وبولاق وشبرا ومحطة سكة الحديد مغورة كلها بمياه النيل اي ان النيل كان متخدًا من الجيزة الى جامع اولاد عنان فالمهمشة

وقد كان في زمن الفتح مدينة تسمى مصر ذكرها مؤرخو العرب وغيرهم لم يبق منها الآن الا اطلال دارسة جنوبي قصر الشمع الذي كان يعرف ايضا بقصر بابليون قلنا استولى العرب على هذا القصر اختطوا مدينة جديدة الى الشرق منه سميت بالقسطاط او قسطاط مصر فحربت مدينة مصر التي كانت في زمن الفتح ولم يعد احد من المؤرخين يذكر شيئا عنها وليست مصر العتيقة مدينة مصر هذه فان مكان مصر العتيقة كان مغورا بالماء في تلك الايام لان النيل كان يمر بجانب حصن بابليون من غربيه ومصر العتيقة الآن غربي الحصن اي في المكان الذي كان النيل يجري فيه

اما حصن بابليون او قصر بابليون ويعرف ايضا بقصر الشمع فلم نزل آثاره باقية الى ايامنا وفيه عدة كنائس مشهورة منها كنيسة مار جرجس للروم الارثوذكس وهي مبنية على احد ابراج الحصن وكنيسة مار مرقس او ابي مرقس والكنيسة المعلقة فوق باب الحديد وكان مغطا على النيل . وتاريخ بناء الحصن وسبب تسميته مختلف فيهما فقد ذكر يحيى النحوي في تاريخه ان بانيه نبوخذ نصر وسماه بابليون باسم عاصمة ملكه بابل وذكر ديودورس الصقلي ان سيسوستريس ملك مصر عاد من احدى غزواته ومعه بعض الاسرى البابليين فتولوا هذا المكان وبنوا فيه حصنا واطلقوا عليه اسم مدينتهم . ودوى يوستينوس انه بني في زمن كيزمك القرس وقيل غير ذلك . وكان المصريون يسمونه في زمن الفتح «بابليون ان خمي» اي بابليون مصر فان خمي بالمصرية من اسماء مصر . وقد ذكر العرب له اسماء كثيرة منها باب اليون وقصر اليون وبابليون وقصر الشمع . ومن رأي الدكتور بطران كلمة الشمع قد تكون معرفة عن خمي او انه سمي كذلك لان الشمع كان يوقد عليه في رأس كل شهر كما ذكر القرزي . ودوى القرزي ايضا ان الذين بنوه من القرس وقد بنوا فيه بيتا للشاركان لم

يزول في زمن الفتح وهو القبة المعروفة بقبة السخان وذكر له أسماء كثيرة منها باب اليوم وباب
اليون وباب اليون ببناء الموحدة . أما البناء الباقي من الحصن الآن فهو من عهد طرابانوس
قيصر الرومان بناه على آثار الحصن القديم سنة ١٠٠ بعد المسيح

أما بناء الفسطاط على ما روى مؤرخو العرب فسببه أن عمرو بن العاص لما نزل على
حصن بابليون وحاصره نصب فسطاطه أي خيمته شرقي الحصن في أرض فضاء بينه وبين
الجبل فلما فتح الحصن وأراد السير إلى الاسكندرية أصر أن يتوضأ الفسطاط فإذا بيامة قد
باخت في أعلاه فابقي فسطاطه ووكل به من يحمضه ومضى إلى الاسكندرية ولحقها ثم كتب
إلى عمرو بن الخطاب يسأله في مكانها فكتب إليه لا تنزل بالمسلمين منزلاً يحول بيني
وبينهم فيعبر ولا يجر قتال عمرو ولا صحابه ابن نازل فقالوا نرحم أيها الأمير إلى فسطاطك
فرجعوا وجعلوا يقولون نزلت عن عين الفسطاط وعن شماله فسميت البقعة بالفسطاط لذلك .
وللفسطاط لغات ذكرها القرظي وياقوت وغيرهما منها فسطاد وفتاد وفسطاط وفساط
وفساط وغيرها وفسروه بيت من آدم أو شعرا أو ضرب من الابنية أو مجتمع أهل أنكورة
حوالي مسجد جماعتهم وقالوا أكل مدينة فسطاط . وذكر ابن الفقيه أن البصرة كانت تدعى
الفسطاط . والنقطة على ما حققه الدكتور ولس بدج والدكتور بطر معرب فسططن
(Fossatum) بالرومية البونظية وهي فسططن باللاتينية (Fossatum) وكانت شائعة في
تلك الأيام ويريد بها الروم المسكر أو الخيم فأخذها العرب عن الروم وقالوا الفسطاط فيكون
الفسطاط تخيم عمرو ورجاله

وبعد زمن الفتح بسنوات قليلة انحسر النيل من أمام حصن بابليون فسكن الناس المكان
الذي انحسرت عنه المياه وانتروا فيه وما زال النيل يضر والناس تيمه وتبي على ضفتيه .
ويعرف هذا المكان الآن بمصر الشيقة أما المكان الذي كانت فيه الفسطاط فأكثره خراب
وليس فيه من الابنية القديمة إلا جامع عمرو وهو أقدم الجوامع في الديار المصرية

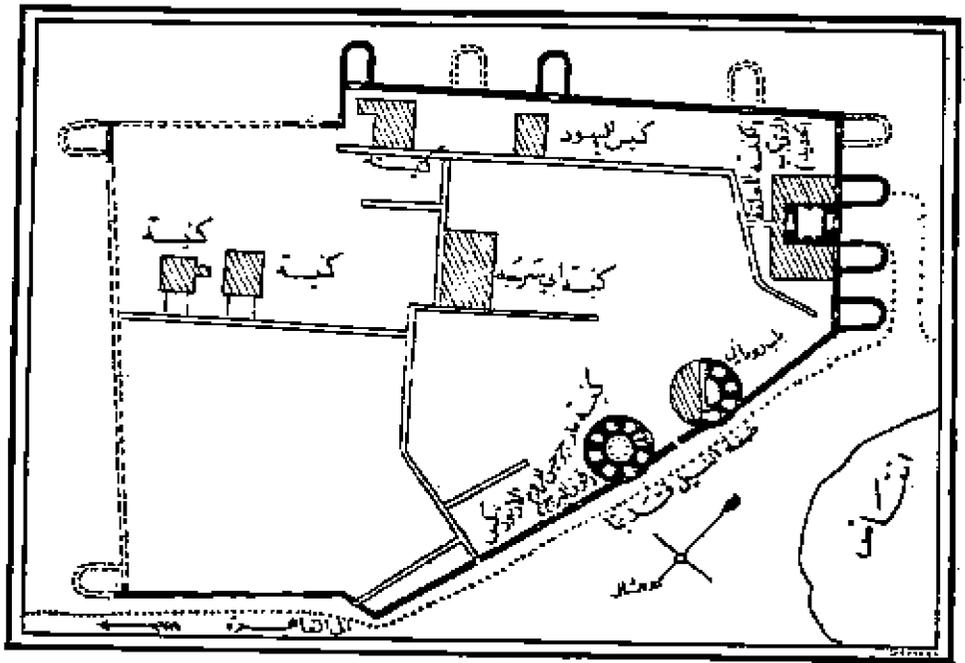
وبقيت مدينة الفسطاط أو فسطاط مصر عاصمة الديار المصرية إلى أن بني المنكاف
المعروف بالمسكر حيث الآن جامع ابن طولون بناء أمراء الجيش العباسي الذي دخل مصر
سنة ١٣٣ هجرية فصار المسكر منزل الأمراء وبقيت مدينة الفسطاط للرعية . ثم أنشأ أحمد
ابن طولون القطائع بجانب المسكر سنة ٣٦٣ هجرية واتخذها الأمراء من بعده منازل إلى أن
انقرضت دولة بني طولون فعاد الأمراء ينزلون المسكر وما زالوا على ذلك إلى أن قدمت
جنود المنر لدين الله القاضي مع كاتيب جوهر من المغرب فبقي القاهرة وصارت دار الخلافة

واستمر سكن الرعية بالفسطاط . والقطائع داخلة الآن في قسم الخليفة وهو احد المقام القاهرة .
 وجعل القائد جوهر لمدينة التي بناها سوراً من الطين وانشأ داخل السور جامعاً وقصراً واتخذها
 مقلاً يتحصن به وسماها المنصورية فلما جاء الخليفة نزل بها وسماها القاهرة ويقال في سبب تسميتها
 على ما ذكر المقرئ ان المرجح كان في الطالع عند وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسميت به
 وكان لها ثلاثة اسوار الاول من طين وهو الذي بناه جوهر القائد كما تقدم والثاني من
 لبن وابوابه من حجارة بناه امير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٨٠ والثالث من حجارة ابتداء في
 عمارته السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ وهو يوشى وزيراً للمعاذ لدين الله فلما كانت سنة
 ٥٦٩ وقد استولى على الديار المصرية اقتدب لبياتيه الدين قراقوش فهدم الاهرام الصغار
 التي كانت في الجزيرة وبنى بها السور والقلعة . واراد صلاح الدين ان يكون السور محيطاً
 بالقاهرة والقلعة والقصر وفسطاط مصر فمت قبل ان يتم ذلك فاقم الملك العادل وبنى هذا
 السور الى ايام نابليون ولا تزال آثاره الى ايامنا واخره من جهة القصر داخل في بعض الابنية
 المطلقة على شارع النجالة

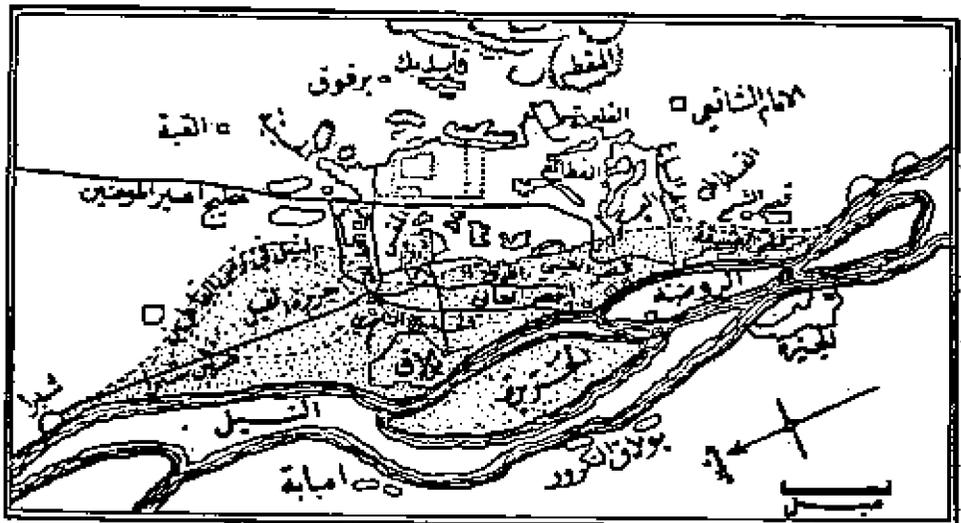
وذكر المرحوم علي باشا مبارك في خطبه ان شكل القاهرة في زمن القائد جوهر كان
 مربعاً تقريباً ومساحة ارضها ٣٤٠ فداناً وفي سنة ٤٨٦ في زمن وزارة بدر الجمالي بلغت
 مساحتها ٤٠٠ فدان . فكانت في زمن الفاطميين بين القلعة وبين خليج امير المؤمنين المعروف
 في ايامنا بالخليج وقد ردم الآن وصار مكانه شارع الخليج . ولم تكن القلعة قد بنيت بعد
 وكانت مدينة الفسطاط أو فسطاط مصر لم تزل عامرة والارض بينها وبين القاهرة فضاء
 وبساتين وقرية القصر على شاطئ النيل الشرقي يفصل الخليج بينها وبين القاهرة وسكان
 النجالة ارض تسمى ارض الطباله وعلى مقربة من بركة الرطل قرية تسمى كوم الريش لم يزل
 اسمها باقياً الى الآن في احد شوارع النجالة واسمها شارع ابي الريش

اما القصر فسماها العرب في زمن الفتح ام دنين وهي تندونياس التي ورد ذكرها في تاريخ
 يحيى الخوري ويقن ان ام دنين معرفة عن تندونياس بعد حذف التاء وهي اداة التعريف
 بالقبضية وسميت بالقصر او بالمكس لانها كانت على ساحل النيل في ذلك الزمن فكانت المراكب
 تقف امامها وتدفع المكس للجوابي ثم حُرمت وقلبت الكفاف فانما على ما ذكره المقرئ . وذكر
 ايضا انه كان في القصر برج قرب الجامع يشرف على النيل بناه بهاء الدين قراقوش وما زال
 الجامع والبرج يشرفان على النيل الى ما بعد سنة سبعائة
 وذكر ايضا ان ارض الطباله التي بعضها النجالة الآن كانت عبر النيل من غربها





قصر الشيخ



القاهرة وضواحيها في زمن الدولة الأيوبية
 الاماكن المتقطعة كانت مغمورة بالمياه في زمن النعمان

عند ما يندفع من ساحل المقس الى ان ينتهي الى موضع يعرف بالحرف قرب بركة الرطلي . وكانت ارض الطباة في ايامه (سنة ٨٠٦ للهجرة) خراباً ليس فيها من العمار الا الاملاك المطلة على بركة الرطلي وكان فيها جنبنة قال انها اخبت شجاع الارض تباع فيها مفضلة التي يتلها ارادل الناس

وذكر ايضا انه كان لتخفاء الناطمين منظره بجوار جامع المقس مطلة على النيل وكانت معدة لتزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الافرنج فنحصر رؤساء المراكب بالتواني وهي مزينة بانواع المدد والسلاح ويطعون بها في النيل حيث الخليج الناصري تجاه الجامع (ويعرف هذا الخليج الآن بركة الاسماعيلية)

وفي اواخر الدولة الفاطمية غرق في النيل بين المقس وبرا الحية مركب اسمه النيل فاجتمعت حوله ازمان وصار مكانه جزيرة كبيرة عرفت بجزيرة النيل ثم تكونت جزر اخرى بين المقس والشاطيء الغربي واخذ الماء ينحصر عن المقس ولا يمر بها الا ايام الزيادة فقط ويبت في تلك الرمال البوص والحلفاء فلما كانت سنة ٧١٣ للهجرة رغب الناس في العبارة بديار مصر لشغب السلطان الملك الناصري بها فبنت بولاق حينئذ في جزيرة تجاه بولاق التكرود ثم حضر الملك الناصر الخليفة الناصري سنة ٧٢٥ في المكان الذي كان النيل يجري فيه قبلاً وكان بجانب المقس في المكان الذي فيه الآن فندق شبرد والابنية الكبيرة التي حوله بستان فيه منظره للفاطميين تشرف طاقاتها على النيل وكان اوله حيث الآن شارع قطرة الدكة وآخره الجنوبي حيث شارع بولاق امام التفراف المصري . وفي زمن الخليفة الظاهر ابن الحاکم باسم الله حفرت فيه بركة عرفت فيما بعد ببركة الازبكية ومكانها الآن حديقة الازبكية . وفي سنة ١٢١١ للهجرة بنى محمد بك الاتلي قصرأ على اتقاض قصر قديم في هذا البستان ثم لما نزل الفرنسيون على مصر جعله نابليون مركز الرياضة ليشي وبعد ارتحالهم سكنه الجنرال كبير الى ان قتل ثم اتخذه محمد علي باشا داراً له ووهبه بعد ذلك الى ابنته زينب هانم فعرف باسمها وكان بجوارها مدرسة تعرف بمدرسة اللالسن اتشأها محمد علي وهي الان فندق شبرد المشهور

وقد رسمنا مع هذه المقالة خريطة مصر وضواحيها في زمن الدولة الابوية اي بعد بناء سورها واعتمدنا في رسمها على خريطة للاستاذ لاين بول في كتاب له اسمه تاريخ القاهرة ورسمنا ايضاً حصن بابليون نقلاً عن كتاب فتوح مصر والاسكندرية للدكتور بطلر وجعلنا المقالة توطئة لما سنذكره في العدد القادم عن فتح مصر حسب رواية يحيى الحموي